صفحات مختصرة

في بناء الإيمان

تأليف إسماعيل المجذوب

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله أنار بصائر أحبابه بمعرفة الحق، وهداهم إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تَرَكَنا على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

أما بعد: فإنَّ معرفةَ العقيدة الصحيحة أهمُّ جوانب المعرفة،[١] وخطرَ الجهل في العقيدة أعظمُ الأخطار، وأكبر الجهالات [٢] .

ولما رأيت كثيراً من المسلمين أخذوا دينهم تقليداً دون علم ولا بصيرة وأحببت أن يكون لي نصيب من خدمتهم، فكتبت كتاب **المنهج المفيد في بناء الإيمان والعقيدة،** وكان فيه جانب من الطول، وكثير من التعليقات النافعة، ومُلحَقاتٌ مفيدة، فكان الكتاب كبيراً بالنسبة لضعف كثير من الهمم عن القراءة، لذلك رأيت أن من الحكمة أن آخذ أهم ما فيه وأجعله رسالة صغيرة بحجم ربع أو ثلث الأصل [٣] تعين هؤلاء على معرفة عقيدة أهل الحق ليكونوا على بصيرة في دينهم، وسميتها: **صفحات مختصرة في بناء الإيمان،** أسأل الله تعالى أن يتقبلها وينفع بها .

---

(١) فبمعرفة العقيدة الصحيحة ينظر الإنسان إلى نفسه وإلى الكون والحياة النظرة الصحيحة؛ لأنه ينظر بالمنظار الصحيح الذي ميز الله تعالى به الإنسان، وهو العقل المستضيء بضياء القرآن الكريم .

(٢) إذ بسبب هذا الجهل يكون الإنسان جاهلاً بحقيقة نفسه وبالحكمةِ التي وُجِدَ من أجلها، ويجهل معنى الحياة الإنسانية، ويخسر الدنيا والآخرة .

(٣) ومن وجد حاجة إلى زيادة في بحثٍ ما مما في هذه الرسالة وجده غالباً في أصل هذه الرسالة وهو كتاب **المنهج المفيد** إن شاء الله تعالى

وستكون هذه الرسالة إن شاء الله تعالى كما كان أصلها قريبةً لمنهج الصحابة ﷺ والتابعين والأئمة المجتهدين، خاليةً من التعقيد، بعيدةً عن علم الكلام وعن منطقِ وفلسفةِ اليونان، و أبتعد في هذه الرسالة عن الانشغال بأمور كثر الجدل فيها مما لا يُسأل عنه العبد يوم القيامة .

وقد رأيتُ أن أجعل هذه الرسالة **ثلاثة فصول**:

الفصل الأول: في تعريف علم العقيد ة، وبيان خصائصها، مع إضاءات علمية ضرورية تجعل المسلم الدارس لها على بصيرة في دينه، وتبعده عن الانحرافات الخطيرة التي زَلِقَ إليها كثيرٌ من المتدينين .

الفصل الثاني: في بيان الإيمان مُجْمَلاً ومُفَصَّلاً .

الفصل الثالث: في ذكر ميزان للإيمان يزن به المسلم إيمانه قوة وضعفاً .

الفصل الأول

علم العقيدة الإسلامية

علم العقيدة: هو العلم الذي تعرف به العقائد الدينية التي جاء بها رسول الله ﷺ بالأدلة اليقينية .

خصائص العقيدة الإسلامية

١- موافقتها للفطرة .

٢ - سهولتها ووضوحها وبُعدها عن التعقيد، يفهمها أقل الناس علماً، ويدرك عظمتَها الراسخون في العلم .

٣- بناؤها على الدليل والإقناع العقلي العلمي .

٤- تجعل المؤمن على علاقة بالله تعالى، وتترك فيه أسمى معاني الطمأنينة والعزة والقوة، والإحسان، والتواضع وحب الخير للناس .

الإضاءات العلمية

الإضاءة الأولى : الإسلام دين المعرفة والبرهان

من خصائص ديننا أنه دين المعرفة والبرهان، وأُسُسُ هذا الدين كلٌ منها مبنيٌّ على أقوى الأدلَّة وأوضح البراهين، وكل مسألة منها لها دليلها وبرهانها الذي يكون به المؤمن في دينه على بصيرة، ويُقْنِعُ به كلَّ مُنْصِف، وهذه الصفة من أهَمِّ صفات الأتباع الحقيقيين لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ **[يوسف/١٠٨]** .

الإضاءة الثانية: اهتمام الإسلام بالجانب العقلي

إنَّ مِنْ أعظم ما يركز عليه القرآن الكريم في الدعوة لهذا الدين هو الخاصية الأولى للإنسان، وهي الجانب العقلي .

ومن مظاهر هذه العناية:

١ – أنَّه رَبَطَ بالعقل التكليفَ الشرعي؛ فالعاقل مكلف، وغير العاقل ليس مكلفاً .

٢ – أنه مَنَعَ المسلمَ من أن يقول أيَّ قولٍ، أو يعمل أيَّ عمل إلا بعلم، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

٣ – أنَّه اعتبر إهمال العقل نزولاً عن المنزلة والكرامة الإنسانية، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .

الإضاءة الثالثة: بيان وسائل العلم والمعرفة

لقد كثر من يتكلم في أمور الدين والدنيا بغير المنهج العلمي، وأدى ذلك إلى جهل مركب وتصورات غير صحيحة في أمور كثيرة؛ فما هي وسائل العلم عند الإنسان؟ .

وسائل العلم والمعرفة للإنسان ثلاثٌ هي:

١– العقل السليم، ٢– والحواس السليمة، ٣– الخبر الصادق

.

وكلٌّ من هذه الوسائل يُدرَكُ به ما لا يُدرك بالآخر .

فبالحواس السليمة نعرف المحسوسات: المرئيات، والمسموعات، والمطعومات وغيرها.

وبالعقل ندرك المعقولات التي يقطع العقل بصحتها .

وبالخبر الصادق نعرف بعض ما غاب عنا من الأمور .

الإضاءة الرابعة : الإلهام و الرؤيا الصالحة لا ينتج عنهما علم

اعتمد بعض الناس في بعض أمورهم على وسائل غير ما تقدم من وسائل العلم، وكان ذلك من أسباب ضلالهم، ومن ذلك ما يتوهمه كثير أنَّ إلْهام الصالحين والرؤيا الصالحة يمكن الاعتماد عليهما .

وهذا بعدٌ عن المنهج العلمي الذي جاءت به أدلة القرآن الكريم، والسنةِ الصحيحة، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء/٣٦] (٤) .

الإضاءة الخامسة : إيماننا بالغيب يعتمد على المنهج العلمي

---

(٤) وقد أدرك علماء المسلمين خطر الاعتماد على الإلهام والرؤيا فحذروا من ذلك في كتب العقيدة، والفقه، وأصوله، قال النسفي في أول صفحة من كتاب العقائد النسفية: **والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق**، اهـ.

وقال السبكي في جمع الجوامع عن الإلهام: **وليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوماً بخواطره** . **[البناني على جمع الجوامع٢/٣٥٦]**

وقال السرخسي في المبسوط ١٦ / ١٣٣ والكاساني في بدائع الصنائع ٦ / ٢٦٩ وابن نجيم المصري في البحر الرائق ٧ / ٩٣ : **من كان يعتمد على الإلهام لا تقبل شهادته** . وقال الشيخ زكريا الأنصاري في لب الأصول/ ١١٨ : **ويقرب من الإلهام رؤيا المنام فمن رأى النبي ﷺ في نومه يأمره بشيء أو ينهاه عنه لا يجوز اعتماده مع أن من رآه فقد رآه حقاً، لعدم ضبط الرائي .**

اعتقاد المسلم الحقيقي بأمور الغيب يعتمد على المنهج العلمي؛ لأنه عندما نبني إيماننا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن الكريم على الأدلة والبراهين العلمية فإنه ينتج عن ذلك أننا عندما نؤمن بأمرٍ غيبيٍّ جاء به القرآن أو بَلَّغَهُ النبي ﷺ فإنَّ هذا الإيمان الغيبي يكون مبنياً على العلم .

فعندما سعى مشرك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا صاحبك يزعم أنه قد أُسري به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته .

قال أبو بكر رضي الله عنه : أوَ قال ذلك؟ قالوا نعم .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : **فإني أشهد إن كان قال ذلك لقد صدق .**

فقالوا أتصدقه بأنه جاء الشام في ليلة واحدة ورجع؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : **نَعَمْ إنِّي أُصَدِّقُه بأبعدَ منْ ذلك أصدِّقُه بِخَبَرِ السماء بكرةً وعشياً،** فلذلك سمي أبو بكر بالصديق . **[الحاكم ٣ / ٦٥ وصححه وأقره الذهبي]** .

وهذا التصديق الغيبي جانب علمي صحيح مبني على ما عُرِفَ من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

الإضاءة السادسة : لا مستند في أمور الغيب إلا الوحي

ومن اعتمد في أمور الغيب على غير هذا الوحي فقد خالف شرع الله تعالى، وابتعد عن مبادئِ العلمِ؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ **[الإسراء/٣٦]** .

وقال سبحانه: ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ **[النمل/ ٦٥]** .

الإيمان مُجْمَلاً ومفصلاً

إن الإيمان الذي يَقْبَلُهُ الله تعالى ويرضاه من العبد ويثيبه عليه الخلودَ في الجنة هو الإيمان بمضمون شهادتي (**أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**).

ويُبْنَى على الشهادتين أركانُ الإيمانِ التي بَيَّنَها رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإيمان بقوله: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » **[مسلم / ٨]** .

كما يُبْنَى عليهما الإيمانُ بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من الوحي، ومن ذلك الأمور الغيبية والأحكام الشرعية التي ذُكرت في القرآن الكريم، أو في الأحاديث الصحيحة .

فإذا نطق الإنسان **بالشهادتين** موافقاً قلبُه لسانَه خاضعاً لله تعالى مصدقاً بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ومات على ذلك كان من المؤمنين الخالدين في الجنة المكرمين بمرضاة الله عز وجلَّ .

تفصيل أركان الإيمان

تفصيل جوانب الإيمان مرتبطٌ بتفصيل النبي ﷺ وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

الركن الأول الإيمان بالله تعالى وحده

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله فطرة وبديهة

الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته **فطرةٌ وبديهةٌ** .

أما كونه فِطْرةً فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ [الروم/ ٣٠] وقال ﷺ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ** » . [البخاري / ١٣١٦ ومسلم / ٢٦٥٨] .

ومن مظاهر هذه الفطرة أنَّ الإنسان وإن كان مشركاً عندما يقع في شدة أو كرب فإنه يلجأ إلى الله تعالى يرجو منه النجاة كما قال تعالى:﴿ **ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤] . **وأما كونه بديهةً** فلأن الإنسان العاقل إذا رأى أيَّ مصنوع مهما قل شأنه فإنه يعلم بداهة أنَّ له صانعاً ولا يتساءل عن وجود صانع لهذا المصنوع، وإذا ما سأل أحد عن وجود صانع لما رآه من هذه الأمور اتُّهِمَ في عقله وعُرِفَ عدم التوازن في تفكيره .

المسألة الثانية : البرهان والدليل العقلي ركيزة الإيمان بالله تعالى

الفطرة قد تنحرف، والجهالة والأهواء قد تغطي البديهيات فلا بد للإنسان من أساس عقلي علمي يكون سنداً لهذا الإيمان الفطري .

وقد سلك القرآن طريق إثارة التفكير عند الإنسان ليوصله إلى حماية فطرة الإيمان بالله تعالى وإلى تثبيت هذا الإيمان عن طريق الدليل والبرهان .

فإذا قرأنا آية: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم** ﴾ [البقرة / ١٦٣] وقد ذُكر فيها وحدانيةُ الله تعالى وبعضُ صفاته، فإننا نجد بعدها ما يرشد إلى التفكير والبرهان الساطع الذي يوصله إلى الإيمان بالله تعالى ومعرفة عظمته بواسطة التفكير في مصنوعاته، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ**

كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . [البقرة / ١٦٤] .

وهذا منهج عامٌّ في القرآن الكريم، وأمثلته كثيرة، وإني أدعو القارئ الكريم إلى تلاوة أوائل سورة النحل، مع التدبر في الجانبين العقلي والقلبي لنجد الأنوار العظيمة التي ترشد العقول وتملأ القلوب بضياء يحيي القلوب بِشُعَبٍ إيمانية ومعرفة عقلية تجعل المؤمن من أهل البصيرة .

التي نجد في أولها دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الإيمان بالله وحده، ونجد بعد ذلك ما يدل الناس على صفاته العظيمة عندما نفكر في مصنوعاته، فقد ذَكَرَ سبحانه خَلْقَهُ للسماوات والأرض، وخَلْقَهُ للإنسان وما سخره له من الأنعام، ثم ذكر المطر والنبات والثمرات وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر، وبعد هذا ذكر تثبيته للأرض بالجبال وما ربطه بالجبال من الأنهار ومصالح البشر مذكراً عباده بفضله ورحمته [٥] .

المسألة الثالثةً : معرفة صفات الله تعالى

---

(٥) آيات القرآن الكريم مع كونها تحرك عقول العباد بالتفكير في مخلوقات الله تعالى ليعرفوا وحدانيته وعظمته وعظمة صفاته تذكرهم أيضاً بعظيم فضله، وكثرة نعمه، وبأنهم المفتقرون إليه في كل ما يحتاجونه، وأنهم إليه راجعون، وهذه جوانب إيمانية ضرورية ترافق معرفة الأدلة والبراهين .

إن معرفة الإنسان لصفات الله عز وجل يمكن أن تكون معرفةً إجمالية .

يعرف أنه تعالى واحد لا شريك له، وأنه متصف بصفات العظمة والكمال التي تليق به، وأنه مُنَزَّهٌ عن جميع صفات النقص .

ومع هذه المعرفة الإجمالية لا بد لنا أن نعرف من صفات الله تعالى تفصيلات جاءت في القرآن الكريم، وفي سنة النبي ﷺ .

وستكون دراستنا لصفات الله تعالى ضمن ثلاثة أبحاث:

البحث الأول في طريق معرفة صفات الله تعالى

معرفة صفات الله لها طريقان، كلٌّ منهما مرتبط بالآخر.

الأول: النظر والتأمل في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ .

والثاني: الوحي الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله سبحانه .

أما الطريق الأول: فإنَّ الصنعة كما تدل على أنَّ لها صانعاً فإنها تدل أيضاً على صفاته .

فإذا تأملت آلةً واطَّلَعْتَ على بعض أقسامها وما يرتبط بكل قسم من الوظائف عرفت كثيراً من صفات صانعها، وكذلك إذا فكرنا في أنفسنا وفيما حولنا وفي كل شيء من هذا الكون دلنا ذلك على الله تعالى، وعلى عظيم صفاته، وفي الوقت نفسه يدلنا على عظيم فضله، وعلى افتقارنا وشدة حاجتنا إليه .

ويليق بأهل عصرنا أن يكون هذا التفكير موافقاً لما يناسب هذا العصر الذي يَسَّرَ الله فيه للإنسان أن يغوص في أعماق أسرار الخلق،

فهذا يعطي نتائجَ إيمانيةً أعظمَ، ومعرفةً أكبرَ بعظمة الله تعالى، وعظمة صفاته؛ فالقرآن مُوَجَّهٌ إلى جميع الناس في كل العصور .

وأما الطريق الثاني: فإنه يُقَوِّي ويزيد معرفتنا بصفات الله تعالى، ويزيد على ذلك ضياءً إيمانياً في القلوب يحقق الشُّعَبَ الإيمانية القلبية، ويحمي القلوب والعقول من الزيغ والانحراف؛ فالطريقة المثلى أن نتعرف على الله تعالى بضياء القرآن الكريم، وبهدي رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

البحث الثاني: أُسُسُ معرفةِ صفات الله تعالى

من أجل أن يكون إيماننا أقرب إلى إيمان السابقين الأولين ﵃ وقبل الوقوف على الآيات والأحاديث المتعلقة بصفاته عز وجلَّ لا بد لنا من معرفة الأسس التي بَنَوْا عليها معرفتهم، وهي:

١- أنْ نؤمن بما جاء به الوحي من الكتاب والسنة من صفاته سبحانه؛ فنثبت ما ثبت بالوحي الإلهي، وننفي ما نفاه .

٢- أنْ نعلم أننا عاجزون عن معرفة حقيقة صفاته سبحانه كعجزنا عن معرفة ذاته، قال تعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الحج / ٧٤]

٣- أنْ نُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن المشابهة لصفات المخلوقات فهو سبحانه لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى / ١١] .

٤ - الاعتماد على منهج القرآن الكريم، لا على طريقة الفلاسفة وعلم الكلام .

٥- البعد عن الخوض والجدل، والتأويل في صفاته سبحانه (٦) .

البحث الثالث: الإيمان بما فصله الوحي من صفات الله تعالى

---

(٦) وهذا هو العمل بما اختاره أئمة الهدى من سلف الأمة وخلفها، وذكر الترمذي أنَّ صفات الله تعالى **يُؤمَنُ بِهَا ولا يُتَوَهَّمُ ولا يُقَال كَيْفَ، وأن كل ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه وهذ مروي عن الإمام مالكِ بن أَنسٍ وسُفيانَ بن عُيَينَةَ وعَبدِ الله بن المباركِ رحمهم الله تعالى وأَنهُم قَالُوا في هَذِهِ الأَحاديثِ: أَمِرُّوَها بلا كَيفَ، قال الترمذي: وهَكَذَا قَولُ أَهلِ العلمِ مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة** اهـ **[سنن الترمذي / كتاب الزكاة /باب فضل الصدقة]** .

مع بعدنا عن التأويل، وتأسينا بالسلف لا نعتبر كلَّ تأويل بدعةً ومخالفةً:

أما تأويل أهل الأهواء المخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعون فهو ضَلالٌ، وأمَّا التأويل القريب الذي جاء مثله عن السلف الصالح فلا حرج فيه، ومن ذلك:

قول البخاري في صحيحه: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ** ﴾ إلا مُلْكَه، ويقال: إلا ما أريد به وجه الله تعالى .

وقول الإمام الطبري في تفسير ﴿ **واللهُ مِن وَّرَائِهِم مُّحِيْطٌ** ﴾ : بأعمالهم، مُحْصٍ لَهَا، لا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شيءٌ، وهو مجازيهم على جميعها.

وقول ابن كثير في تفسير ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ أيْ مُطَّلِعٌ عليهم، يسمع كلامَهم وسرهم ونجواهم، ثم قال: حكى غير واحد الإجماعَ على أن المراد بهذه المعيةِ معيةُ علمه تعالى .

وقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في تفسير ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ** ﴾ أي جاء ثوابه . **[البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٧]** .

بعد ما تقدم من المقدمات والأسس نقف مع ما جاء به الوحي الإلهي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نقتبس من ضيائه معرفةً لصفات ربنا سبحانه، نضيء به قلوبنا بالإضافة لمعرفة عقولنا [٧] .

وأبدأ بأهَمِّ وأول ما كان يركز عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم لأقوامهم، وهو توحيد الله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ **[الأنبياء/ ٢٥]** .

وكانت دعوة كلٍّ منهم: ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ **[الأعراف/ ٥٩]** ولذلك سيكون الكلام في الوحدانية أوسع من الكلام في غيرها من صفاته عزَّ وجل .

أ- وحدانية الله تعالى

الله تعالى هو الإله ولا إله سواه، وهو المعبود بحقٍّ ولا يعبد سواه

ونبحث في هذه الصفة في جانبين:

الجانب الأول: أن الله سبحانه هو وحده الإله الخالقُ والمالك لكل شيء، وأنه وحده المستغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقرٌ إليه .

وأنه بيده ملكوت كل شيء، وهو المتصرف بكل ما في هذا الكون، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه .

---

(٧) تدبر آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المرتبطة بصفات الله تعالى وأسمائِه الحسنى يحيي القلوب ويصلحها ويداويها من أمراضها، ويدفع المؤمن إلى التحقق بشعب الإيمان في ظاهره وباطنه، وفي أقواله وأفعاله وأحواله .

الجانب الثاني وهو لازم للأول: أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة، ولا يستحق العبادة أحد سواه، فهو وحده المعبود بحقٍّ .

وأنه بيده وحده التشريع، وهو وحده يُحلُّ الحلال يُحرِّم الحرام، وله وحده الطاعة المطلقة، فلا طاعة لمخلوق في معصيته، وكل من في السموات والأرض عبيده الضعفاء؛ فلا يُتوكلُ ولا يُعتمد إلا عليه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾ [الزمر / ٦٤] .

وقال سبحانه: (**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**) [الزمر/٣٨]

وقد علمنا القرآن هذين الجانبين من التوحيد في آياته الكثيرة، وأجْمَلَ ذلك في السورة التي نقرؤها في كل ركعة، وهي أعظم سورة من القرآن الكريم .

فهو سبحانه يذكرنا بالأمر الأول في الآيات: ﴿ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾

ويذكرنا بالأمر الثاني في الآيات: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ .

ونقف مع آيات أخرى من القرآن تضيء قلوبنا وتوصلنا إلى اليقين المبني على الدليل والبرهان .

إن انتظامَ وتلاؤمَ سيرِ هذا الكون الواسع مع كثرة أنواع المخلوقات واختلافها، واختلاف أنظمتها لَيَدُلُّ أصحاب العقول على أنَّ لهذه المخلوقات إلهاً واحداً خلقها ويسيرها بحكمته كما يريد .

قال عز وجل: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) [المؤمنون/٩١] وقال تعالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**) [الأنبياء/٢٢] .

وقال سبحانه: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**)[فاطر/٣] .

فالإله الحق هو الخالق لكل شيء، فأين معنى الألوهية في سواه؟ وماذا خَلَقَت تلك المعبوداتُ التي عُبِدتْ من قبل الجاهلين؟ قال تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) [لقمان/١١] .

وقال سبحانه: (**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**) [الأنبياء/٢٤] .

الشرك قولٌ باطل وتصورٌ غير صحيح؛ فالإله هو المستغني عن كل شيء، وكلُّ شيء مفتقر إليه، وما ليس كذلك ليس إلهاً .

ويلزم من هذا النقاطُ التالية التي يعرفها أهل الحق:

١-الإله خالق كل شيء .　　٢- الإله ليس مخلوقاً

٣- الإله لا يحتاج إلى شيء.　　٤- الإله يحتاج كلُّ شيء إليه .

والمعبودات التي عبدت في تاريخ البشر القديم والحديث كلٌ منها مخلوق لا خالق، وكلٌ منها فقير محتاج فكيف يكون إلهاً؟ .

الإله لا يُتَّخَذُ اتخاذاً يمكن للإنسان أن يتخذ صديقاً أو معلماً أو شريكاً، ولكن لا يمكن أن يَتَّخِذَ إلها؛ فالنقاط الأربع السابقة التي تعطي الإنسان التصور الصحيح لمعنى كلمة **الإله** لا يمكن أن تكون في غير الله، قال عزَّ وجلَّ: (**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ**) [يس/ ٧٤و ٧٥]

الله تعالى فعال لما يريد وهو على كل شيء قدير

فالله تعالى له الإرادة المطلقة، وهو الفعال لما يريد، إرادته تعالى فوق كل إرادة، وله القدرة المطلقة فهو على كل شيء قدير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ فلا يمكن أن يكون .

قال تعالى: (**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) [الأعراف/ ٥٤] وقال سبحانه: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) [يس/ ٨٢-٨٣]

- ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ . [يونس/ ١٠٧]

الله خالق كل شيء ولا خالق غيره

فالأرض وما فيها، والسماوات وما فيهن، وجميع الكائنات كل ذلك مخلوق، والله تعالى هو وحده خالقه .

- (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) [فاطر/ ٣]

- (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [غافر/ ٦٢] .

الله الخالق وللعباد الكسب

الله تعالى هو الخالق للعباد، وهو الخالق لأعمال العباد، لكن من حكمة الله تعالى أنه خلق الإنسان وجعل له إرادةً واختياراً يتمكن بهما من كسب الإيمان والطاعات، والله تعالى يثيبه عليها، ومن اكتساب الكفر والسيئات ويعاقبه الله تعالى عليها .

فأفعال العباد تنسب إلى الله خلقاً، وتنسب إلى العباد كسباً .

اختيارنا في الأمور التكليفية من البديهيات

اختيار الإنسان من أوضح الحقائق، بل هو من البديهيات يلمسه كل عاقل من نفسه، ويدرك أنه مختار عندما يتوضأ أو يسبِّح الله ويحمده أو يدفع الزكاة، وكذلك عندما يسرق أو يسب أو يغتاب (٨) .

الله العليم الحكيم

الله عليم: لا يخفى عليه شيء في الدنيا ولا في الآخرة، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، يعلم السر وأخفى، يعلم ما كان وما يكون .

وهو الحكيم في خلقه: خلق كل شيء فقدره تقديراً وأحسن كل شيء خَلَقَهُ .

وهو الحكيم في أمرِهِ ونهيِهِ، وفي تشريعه أَمَرَ عبادَه ونَهَاهُمْ رحمةً لهم وشرع لهم ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة؛ فتشريعه أكملُ التشريع وأحكَمُهُ؛ وهو الأعلم بطبائع العباد وبما يناسبهم وبما ينفعهم أو يضرهم .

---

(٨) وسيأتي تفصيل هذا في بحث القدر إن شاء الله تعالى .

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ / ٣]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة/ ٧]

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩]

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/ ١٣-١٤]

الله هو الغني الحميد

كل مخلوق محتاج مفتقر إلى الله تعالى، أما الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء، وهو الغني عن كل ما سواه، إذ كل ما سواه مخلوق ومفتقر إليه، وهو الغني عن طاعة عباده، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم .

وما كلفهم بما أمرهم به وبما نهاهم عنه إلا لمصالحهم .

وهو الحميد الذي اتصف بكل كمال يليق به، وأسبغ على عباده نعمه ظاهرة وباطنة، وكل كمال وفضل راجع إليه، ولذلك كان رسول الله

ﷺ يهلل بعد كل صلاة: ((**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ**)) .

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**) [فاطر/ ١٥- ١٧]

ومما يبين هذا المعنى الحديث القدسي التالي: ((**يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ، كَانُوا عَلَىَ أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ، كَانُوا عَلَىَ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمّا عِنْدِي إِلاّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**)) [مسلم/ ٢٥٧٧] .

الله هو الحي القيوم

وهو الحيُّ القيوم الذي لا يموت، وهب الحياة لجميع الأحياء، وهو القيوم، يتصرف في كل شيء من الكون، يرزقه ويدفع عنه ويكلؤه ويحفظه ويدبر أمره، قال تعالى: (**اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) [البقرة/ ٢٥٥] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: ((**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن** ....)) [البخاري / ١٠٦٩ ومسلم / ٧٦٩] والقَيُّومُ والقَيَّامُ والقَيِّمُ بمعنىً واحدٍ .

الله هو الغفور الرحيم

هو الغفور، وسعت مغفرته جميعَ الخلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ويقبل توبة التائبين، من الكافرين ومن عُصَاةِ المؤمنين، مهما عظمت

ذنوبهم، وفي الحديث القدسي: ((**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي**)) [الترمذي: ١٨٧٨]

ومن الآيات في ذلك:

﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر /٥٣] .

وهو الرحيم، وسعت رحمته كل شيء، يرحم عباده في الدنيا، ورحمته في الآخرة أعظم، قال تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**) .

[الأعراف/١٥٧]

- (**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [الأنعام ٥٤]

الله سميع بصير

كما آمنا أن الله بكل شيء عليم فإننا نؤمن أن الله تعالى سميع بصير، وكما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، فكذلك لا يعزب عن سمعه وبصره مثقال ذرة، قال تعالى: (**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) . [لقمان ٢٨] .

– (**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**) [طه ٤٥ –٤٦]

من صفات الله تعالى الكلام

ومما جاء به كتاب الله تعالى من صفات الكمال التي تليق بعظمة الله سبحانه وتعالى صفة الكلام، قال تعالى: (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**) **[النساء/ ١٦٤]**

عن عدي بن حاتم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ((**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولوبشق تمرة**)) **[البخاري ٧٠٧٤/ ومسلم / ١٠١٦]** .

الله تعالى هو الأول والآخر

فهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، قال تعالى:

(**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) **[الحديد/ ٣]** وكان رسول الله ﷺ يناجي ربه إذا أوى إلى فراشه فيقول: ((**اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين وربنا ورب كل شيء، .... أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**)) .

[مسند أحمد ٢ / ٥٣٦ ومسلم ٢٧١٣]

الله ليس كمثله شيء

عرفنا أنه تعالى متصف بصفات الكمال التي تليق بعظمته، لكن معرفة الإنسان لصفاته تعالى لا تشبه معرفته لصفات الخلق .

وصفات العظمة التي تليق به سبحانه فوق ما يتصور المتصورون .

والخلقُ كلهم عاجزون عن تصور عظمته، ومعرفة حقيقة صفاته، قال تعالى: (**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**) [الحج/ ٧٤] وقال سبحانه: (**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**) [طه/ ١١٠] .

فنؤمن أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكذلك صفاته تعالى، فعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ورحمته وحكمته ورضاه وغضبه وغير ذلك من الصفات التي جاءت في القرآن الكريم وفي السنة كل ذلك لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقات، قال تعالى: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [الشورى/ ١١] .

الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة من صفات الله تعالى

ونكتفي في هذه الرسالة بما تقدم ذكره من تفصيل في صفات الله تعالى، وقد جاء في القرآن والسنة وصف الله تعالى بصفات أخرى نؤمن بها كذلك على ضياء الأسس القويمة التي تقدمت معنا وهي :

١- نثبت ما ثبت بالوحي الإلهي وننفي ما نفاه .

٢- نُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن المشابهة لصفات المخلوقات .

٣ – نؤمن بأننا عاجزون عن معرفة حقيقة صفاته .

٤ – الاعتماد على منهج القرآن الكريم، لا على طريقة الفلاسفة .

٥ – ترك الخوض في تفسير أو تأويل صفات الله تعالى .

هذا الذي تقدم معنا من أبحاث الإيمان بالله تعالى متعلق بالجانب العقلي، الذي هو أساس الإيمان.

صلاح القلوب والأعمال من الإيمان

ومع هذا الجانب العظيم **لا بد للمؤمن الموفق من الاهتمام بجانبين عظيمين من ديننا أولهما الجانب القلبي، والثاني الجانب السلوكي العملي.**

والثاني لا يصلح إلا بصلاح الأول، قال ﷺ : « **أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ** » [البخاري /٥٢ مسلم / ١٥٩٩] .

وينبغي أن نتذكر أنه يدخل في الإيمان أمور قلبية وسلوكية كثيرة تُعتبَر شُعَباً للإيمان، وأنه لا يكمل إيماننا إلا بها قال النبي ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون باباً، أفضلها لا إله الا الله، وأدناها إماطة العظم عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** » [البخاري / ٩ ومسلم/ ٣٥]

ومن هذه الشعب ما ذكره الله تعالى في الآيات التالية:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال/٢-٤] .

والموفقون من يكرمهم الله بالتحقق بهذه الشعب وغيرها؛ فمن أهم ما نحرص عليه أن نسعى مستعينين به تعالى في تنوير قلوبنا بأنوار الإيمان .

ومما يعين على ذلك بَعْدَ الحرص عليه والاستعانة بالله تعالى تَدَبُّرُ القرآن الكريم وما فيه من أنوارِ أسماء الله تعالى وصفاته، والعِبَرِ المأخوذة من قصصه، ومن آياته المتعلقة بعوالم الآخرة، مع سقاية القلوب بالأذكار والأدعية التي سُقِيَتْ بها قلوب السابقين الأولين، مع النظر في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم والتابعين والعلماء العاملين الربانيين في حياتهم العامة، وفي أحوالهم المتعلقة بصلاح بَوَاطِنهم وحُسْنِ عبادتهم .

الإيمان بأن محمداً ﷺ رسول الله

هذه هي العقيدة الأساسية الثانية التي لا يصح الدخول في الإسلام إلا بها، وكما بنينا عقيدة (**لا إله إلا الله**) على الدليل والبرهان فكذلك العقيدة الثانية (**محمد رسول الله**) .

من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ

دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ أكثر من أن تُحصر منها:

١- سيرته قبل النبوة، ٢- وسمو وكمال العقيدة التي جاء بها، ٣- وسُمُوُّ وكمالُ التشريع الذي جاء به، ٤- والمعجزات الكثيرة التي أيده الله بها وشاهدَها أهلُ عصره، فعرفوا بها نبوته، وأيقنوا أنه رسول الله ﷺ وعرفها من جاء بعد ذلك العصر مما ثبت في الصحيحين وغيرهما .

من معجزات نبينا محمد ﷺ

الإسراء والمعراج

ومن هذه المعجزات ما أكرمه الله تعالى به حيث أسري به من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم عُرِجَ به ﷺ إلى السماوات العُلى ثم إلى سدرة المنتهى .

قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الإسراء : ١]

وقال سبحانه: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ**

أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم ١-١٨] .

وقد ذَكَرَ النبي ﷺ الإسراء والمعراج في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ :

« .... **ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ** .... »

ثم ذكر ﷺ بقية السماوات ومن لقيهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والبيتَ المعمور وسدرةَ المنتهى .

وذكر أن الله تعالى فرض خمسين صلاة في كل يوم وليلة فسأل الله تعالى التخفيف فاستجاب وقال له: « **يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً** » .

[البخاري/ ٣٠٣٥ ومسلم / ١٦٤]

معجزة القرآن الكريم

وأعظم معجزاته ﷺ **القرآن الكريم**، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنْزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الدائمة المنتشرة، لا يَحُدُّها زمان ولا مكان، تتضمن وجوهاً من الإعجاز، تناسب كلَّ الناس على اختلاف خصوصياتهم ومعارفهم .

وجوه من إعجاز القرآن

وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، ومنها:

١- أسلوبه الفريد المرتبط بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة .

٢- إخباره بالمغيبات الماضية مع تفصيلها وبيانها .

٣- إخباره بالمغيبات المستقبلة، ومنها عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله .

٤- إعجازه العلمي

ووجه الإعجاز العلمي يناسب هذا العصر وما بعده أكثر من العصور الماضية؛ لأنَّ هذا الوجه تتجدد فيه الآيات كلما زاد التطور في التقدم العلمي، كما بين القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ **[فصلت : ٥٣]**

ويظهر هذا الإعجاز العلمي في جانبين:

آ- استحالة وجود آية قرآنية تتعارض مع أيَّةِ حقيقة علمية صحيحة .

ب- ظهور حقائق علمية، لم يعرفها الإنسان في الأزمنة السابقة، وبتدبر وتفهم القرآن وجدها الإنسان ظاهرة في آيات القرآن واضحة، فمن أين أتى بها ﷺ لو لم تكن من عند الله تعالى [٩] .

(٩) ومَنْ وجد شيئاً يظنه معارضاً لآية قرآنية فهو إما جاهل بالآية، وإما جاهل بالقضية العلمية، وهذه الاستحالة مَرَدُّها إلى أن مُنَزِّلَ القرآن هو خالق هذه الأكوان يُرِي الناسَ من آياته فيها ما يشاء، وهو الأعلم بما خلق، فلا يمكن أن يُنْزِلَ آيةً قرآنية تتناقض مع علمه عز وجل .

فالذي يفهم من قوله تعالى: (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء**) **[البقرة/ ٢٢]** ما ينافي كروية فقد فهم الآية على غير حقيقتها .

والذي فهم من قول علماء الفلك: (**الشمسُ لا تدور حول الأرض، بل الأرض تدور حولها**) أنَّ الشمس ثابتة لا تتحرك فقد فهم القضية على غير حقيقتها .

الركن الثاني الإيمان بالملائكة

ومما جاء به ﷺ أن نؤمن بالملائكة، وهم مخلوقات نورانية خلقهم الله تعالى من نور، كما خلق الله الإنسانَ من طين، والجنَّ من نار، قال ﷺ : ((**خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمّا وُصِفَ لَكُم**)) [مسلم / ٢٩٩٦] .

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة / ٢٨٥] .

والإيمان بالملائكة أحد الأركان الإيماني المبينة بقوله ﷺ : ((**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ**)) [مسلم / ٨] .

وإيماننا بالملائكة من جوانب الإيمان بالغيب، الذي نؤمن به إجمالاً في المجمل، وتفصيلاً في المفصل .

ومن هؤلاء الملائكة جبريل المكلف بإنزال الوحي، قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴾ .

ومن أمثلة الجانب الثاني اكتشاف كروية الأرض الموافق لقوله تعالى: ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ [الزمر/ ٥] وأنَّ الإنسان كلما ارتفع في طبقات الجو العليا شعر بضيق الصدر موافقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام/ ١٢٥] ومن أراد المزيد من هذه الأمثلة فإنه يجدها في **كتب هارون يحيى التركي، وكتب زغلول النجار المصري** .

[الشعراء / ١٩٣ –١٩٤] .

ومنهم الموكلون بحفظ الإنسان، قال سبحانه: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ** ﴾ [الرعد/ ١١] أي يحفظونه بأمر صادر من عند الله تعالى .

ومنهم الملائكة الموكلون بقبض الأرواح عند حلول الآجال، قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** ﴾ [الأنعام/ ٦١]

ومنهم الملائكة الموكلون بمراقبة وكتابة أعمال العباد قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ .

[الانفطار/ ١٠– ١٢]

ومنهم الموكلون في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم ٦]

ومنهم الموكلون بحضور مجالس الخير قال ﷺ: « **إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا... هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ** »

[البخاري /٦٠٤٥ مسلم/ ٢٦٨٩].

وللملائكة صفات وأحوال كثيرة مذكورة في القرآن الكريم، وفي سنة النبي ﷺ نؤمن بها تفصيلاً في المفصل، وإجمالاً في المجمل .

ونؤمن بكل ما جاء به الوحي من أمور الغيب الإلهيُّ، تفصيلاً في المفصل، وإجمالاً في المجمل .

ولا ينبغي أن نخوض باجتهادنا وأوهامنا في تفصيل أمورهم، ولا في أمور الغيب الأخرى كالروح وكتابة الملائكة لأعمالنا وكيفية الوزن يوم القيامة؛ لأنه ليس عندنا أسسٌ نبني عليها اجتهادنا فيها، ولولا أنَّ الوحي الإلهي جاء بهذه المغيبات لما أثبتنا ولما نَفَيْنا، ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾، **وهذا من العافية في ديننا ومن أسباب السلامة عند الله تعالى، وهو من المنهج العلمي اللائق بكرامة الإنسان .**

الركن الثالث الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

ومما جاء به نبينا ﷺ أن نؤمن بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد أرسل رسلاً إلى كل الأمم السابقة، ولكنه سبحانه لم يذكر لنا جميع الرسل، فنؤمن بهم تفصيلاً فيمن فصَّلهم الله علينا، وإجمالاً فيمن لم يفصِّلهم [(١٠)] قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر/ ٢٤] وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ [غافر/ ٧٨]

لا يُقبل الإيمانُ بالله تعالى إلا مع الإيمان بجميع الرسل

لا يقبل الله تعالى الإيمانَ به إلا مع جوانب الإيمان الأخرى، ومنها الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

---

(١٠) من المفيد أن نمسك عن الخوض والجدل في إثبات نبوة أحد غير المذكورين في القرآن والسُّنَّة أو في نفيها، لأننا لا نستطيع أن نثبت النبوة لأحد ولا أن ننفيها عن أحد إلا بعلم مُسْتَنِدٍ إلى الوحي الإلهي .

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى الإيمان بالأنبياء السابقين ويأخذون العهد على أتباعهم أن يؤمنوا بالأنبياء الذين يأتون من بعدهم وأن ينصروهم .

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران/ ٨١] .

فلا بد لمن يريد الإيمان الذي يُقْبَلُ عند الله تعالى من الإيمان بآدم ومحمد ومن بينهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولو أن إنساناً ادعى الإيمان بجميع جوانب الإيمان ولم يؤمن بعيسى أو موسى أو سليمان أو محمد عليهم الصلاة والسلام فهو عند الله تعالى كافر لا يقبل الله تعالى منه فرضاً ولا نفلاً؛ لأن الإيمان عند الله تعالى كلٌّ لا يتجزأ، إذا ذهب جزؤه ذهب كله (١١) .

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[النساء ١٥٠-١٥٢] .

---

(١١) هذا شأن الإيمان، أما الجانب العملي في أركان الإسلام الظاهرة فالأمر مختلف فمن أفطر يوماً من رمضان دون عذر فلا يبطل صيامُه بقيةَ الشهر، ولا تبطل صلاته، بخلاف من ترك الإيمان بنبيٍّ أو بآية قرآنية فإنه يبطل إيمانه كلُّه .

دينُ الأنبياء دينٌ واحد

لا يختلف في أمور العقيدة، ولا في الأوامر والنواهي الأساسية

وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: « **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ** » [البخاري/ ٣٢٥٩ ومسلم/ ٢٣٦٥] .

وأولاد العلات هم الأخوة من جهة الأب فقط، أبوهم واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أنَّ عقائدهم وشرائعهم واحدة متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت الشرائع من حيث بعضُ الفروع .

فأمور العقيدة وأمور التشريع الأساسية واحدة لا تختلف، جاء بها كل الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى/ ١٣] .

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل/٩٠] .

أما فروعُ الشرائع كتفصيل العبادات وبعض أحكام المعاملات فقد تختلف، قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة/ ٤٨]

محمدٌ ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده

نبيُّنا محمد ﷺ آخرُ الأنبياء لا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده ﷺ أو آمن بنبي بعده فهو مكذبٌ للقرآن، مكذبٌ للنبي ﷺ كافرٌ به .

قال تعالى: ﴿ **ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب/ ٤٠]

وقال النبي ﷺ : ((**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلّمَا هَلَكَ نَبِيّ خَلَفَهُ نَبِيّ، وَإِنّهُ لاَ نَبِيّ بَعْدِي.**)) [البخاري/ ٣٢٦٨ ومسلم / ١٨٤٢] .

وقد أخبر النبي ﷺ بأن بعض الكذابين سَيَدَّعون النبوة بعده، فقال: ((**وإنَّهُ سيكُونُ في أُمَّتي ثلاثُونَ كذَّابونَ كلُّهُم يزعُمُ أنَّهُ نبيٌّ وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ لا نَبيَّ بَعدي**)) [أبو داود/ ٤٢٥٢ الترمذي/ ٢٢١٩ وصححه] .

نبينا محمد ﷺ بَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام

نبينا محمد ﷺ بَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، وآخر من بشر به عيسى ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف/ ١٥٦ -١٥٧] .

وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[الصف/ ٦]

.

عموم رسالة النبي محمد ﷺ

أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ لكل الناس، ولجميع الشعوب، في عصره ﷺ وما بعده من العصور، ومن الآيات الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا**

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ ٢٨] وقوله سبحانه: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان/ ١] .

شريعته ﷺ ناسخة لما خالفها من الشرائع السابقة

ويلزم من عموم رسالته ﷺ أن شريعته ﷺ ناسخة لما يخالفها من الأحكام الشرعية السابقة لأنه يلزم من أنه خاتم النبيين ومن أن رسالته عامة لكل الناس أن يتبع الناس شريعته ﷺ ويتركوا ما يخالفها مما كان قبلها، وكما لا يقبل الله من أحد إيماناً إلا مع الإيمان به، كذلك لا يقبل من أحد عملاً إلا ما وافق شرعه ﷺ .

عصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاصي

ومن صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام العصمة من المعاصي .

وذلك لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم، وقال عنهم: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام/ ٩٠] وقال لنا: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب/ ٢١] فلو صدرت منهم المعاصي لكنا مأمورين بها والله تعالى ينهى عن المعاصي ولا يأمر بها .

وما ورد من ذكر ذنب لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس على ظاهره، كما جاء في حديث الشفاعة: « **فيأتون إبراهيم ...إني قد كنت كذبت ثلاث كذبات** (١٢) **نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى** » .[البخاري / ٤٤٣٥ ومسلم / ٣٢٧] .

---

(١٢) هي قوله: (**إني سقيم** ﴾ وقوله: (**بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ وقوله عندما سأله جبار من الجبابرة عن زوجته سارة قال: **أختي** [البخاري / ٣١٧٩] .

فإطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة إذا حُقِّقَ لم يكن كذباً لأنه من باب المعاريض المحتمِلة للأمرين فليس بكذب محض [انظر فتح الباري ٦/ ٣٩١] .

وقال بعض العلماء ما ورد من ذكر ذنب لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُؤَوَّلُ ذلك على ترك الأولى، وسميت ذنوباً لعظم مقدارهم كما قال بعضهم: حسناتُ الأبرار سيئات المقربين

[انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧/ ١٨٠].

لا عصمة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد ضل بعض الناس فاعتقدوا لعصمة في غير الأنبياء من الصالحين، أو من المتظاهرين بالصلاح، وقد ضلوا بهذا عن صراط الله المستقيم وأضلوا، وليس عندهم دليل يصح أن يعتمد عليه .

وقد مضى زمن الصحابة رضي الله عنهم وهم خير أولياء هذه الأمة ولم يَدَّعِ أحدٌ منهم لنفسه أو لغيره أنه معصوم، وكانوا يجتهدون في استنباط الأحكام الشرعية، وكانوا يعملون بهذا الرأي أو ذاك، ولا ينكر أحد الاجتهاد على أحد ولو خالف في اجتهاده أحدَ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

وإذا نظرت في كتب الفقه وجدت أن فقهاء الصحابة رضي الله عنهم اختلفت اجتهاداتهم في كثير من المسائل .

معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام

وقد أيد الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات، والمعجزة أمر يجريه الله تعالى على أيدي الأنبياء خارقٌ للقوانين العامة التي أجراها الله تعالى في هذا الكون مما لا يكون في قدرة البشر .

فقد أجرى الله تعالى في طبع الماء الرقةَ، والسيلانَ من الأعلى إلى الأسفل، وعندما سار موسى عليه السلام ومن معه وتبعهم فرعون بجنوده، أمر الله

تعالى موسى ﷺ فَضَرَبَ بعصاه البحر فانفلق الماء، حتى إذا خرج موسى ﷺ ومن معه إلى البَرِّ أعاد الله تعالى الماء إلى طبيعته العامة السابقة، وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ** ﴾ [الشعراء /٦١-٦٦]

وكذلك أَيَّدَ الله تعالى رسوله إبراهيم ﷺ فغير من طبع النار التي ألقوه فيها وجعلها عليه برداً وسلاماً كما أخبرنا الله تعالى: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء / ٦٦ – ٧٠]

الركن الرابع الإيمان بجميع الكتب السماوية

ونؤمن بالكتب والصحف التي أنزلها الله تعالى على هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ .

[البقرة/ ٢٨٥] .

وهذا الجانب الإيماني جانب أساسي، وهو من الأركان أيضاً، فعندما سُئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » [مسلم / ٨] فنؤمن بما

أنزل من الصحف على إبراهيم وموسى، ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ [الأعلى/ ١٨ – ١٩] .

ونؤمن أن الله أنزل التوراةَ على موسى والإنجيلَ على عيسى والزبورَ على داود والقرآنَ على محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام .

قال عز وجل: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ** ﴾ . [آل عمران/ ٣-٤] وقال سبحانه: ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [الإسراء / ٥٥] .

القرآن الكريم محفوظ قد تكفل الله تعالى بحفظه

القرآن الكريم آخر الكتب، وهو مرسلٌ للناس جميعاً، إلى يوم القيامة، وقد تكفل الله بحفظه، ليبقى مناراً للناس إلى يوم القيامة .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر/ ٩]

وقال سبحانه: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت /٤١-٤٢] .

ومن ادعى أنَّ القرآن قد تغير، زاد أو نقص أو حُرِّف أو بُدِّلَ منه شيءٌ فقد كَذَّبَ القرآنَ الكريم ومن كَذَّب القرآن فهو كافر .

الركن الخامس الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: بقوله: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**)) [مسلم / ٨] .

وهو اليوم الذي يحيي الله فيه الموتى ويبعثهم من قبورهم ويحشرهم للحساب والجزاء، ويأخذ فيه المظلوم حقه، ويُجازَى بحسناته وسيئاته وإن كانت مثقال ذرة ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران/ ٣٠] .

اليوم الآخر من مظاهر حكمة الله تعالى

من آمن أنَّ الله فعالٌ لما يريد، وهو على كل شيء قدير، ورأى أعمال المفسدين، وظُلم أهل الشر والفساد، وضياع حقوق المظلومين، وكان غافلاً عن الآخرة فإنه لا تظهر له حكمة الله تعالى، ويتوهم أن هذه الحياة كأنها عبثٌ لا حكمة فيه .

ولكن إذا ربط ذلك بما سيكون في الآخرة من الحساب والجزاء، بحيث لا يضيع فيه مثقال ذرة من الخير ولا من الشر عرف جانباً عظيماً من حكمة الله تعالى ويبعد عنه توهم العبث، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾ [إبراهيم/٤٢] وقال سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾[المؤمنون/ ١١٥و ١١٦].

وقت يوم القيامة لا يعلمه إلا الله تعالى

وقت يوم القيامة لا يعلمه إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان/٣٤] وقال سبحانه: ﴿ **يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ**

تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٧] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ**))(١٣) **[البخاري / ٤٤٢٠]** .

حياة البرزخ نعيماً أو عذاباً

ومما جاء به نبينا ﷺ أن الإنسان يحيا حياة برزخية بعد الحياة الدنيا وقَبْلَ يومِ القيامة، يكون الإنسان فيها منعماً أو معذباً، وهذه الحياة من أمور الغيب التي نؤمن بها إيمانا غيبياً مع جهلنا بحقيقتها لثبوتها بالوحي الإلهي قال تعالى: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر/ ٤٥-٤٦]**.

.وجاء في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ منها:

قوله ﷺ: ((**إِنّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتّىَ يَبْعَثَكَ اللّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) .

[البخاري/ ١٣١٣مسلم/٢٨٦٦] .

---

(١٣) قد ضلَّ في عصرنا أناس، لهم وَلَعٌ بتحريف معاني القرآن والسنة، وبالطعن في الأحاديث الصحيحة، يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله مبتعدين عن المنهج العلمي، يزعمون أن لهم طريقة لفهم القرآن ترتبط بأسرار وأرقام زعموها لكل حرف من حروفه، ومما بَنَوهُ على ضلالتهم أنهم عرفوا العام الذي ينتهي فيه العا لم، وهم بذلك يُكَذِّبون القرآن وأحاديث النبي ﷺ

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: ((**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**)) [البخاري/ ٢١٥ ومسلم/٢٩٢] .

فتنة القبر (البرزخ)

ومن أمور الغيب الثابتة بالوحي فتنةٌ في الحياة البرزخية بعد الموت، تسمى فتنة القبر، يُسأل فيها العبد عن ربه تعالى وعن دينه وعن نبيه ﷺ نَسألُ الله تعالى أن يثبتنا وأن يلقنا حجتنا .

ومما جاء فيها حديثُ الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : ((**إِذَا تَشَهّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدّجّال**)) [مسلم / ٥٨٨] .

وعن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿ **يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] قال: ((**في القبر إذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟**)) [الترمذي وصححه / ٣١٢٠] .

حياة الشهداء

ومما يتعلق بحياة البرزخ ما أكرم الله تعالى به الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعالى فجعلهم عنده بعد موتهم وقبل يوم القيامة أحياءً منعمين مرزوقين، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ**

بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[آل عمران/ ١٦٩ - ١٧١]

وقال ﷺ : « **ما من عبد يموت، له عند الله خير، يَسُرُّه أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتلَ مرة أخرى** » **[البخاري / ٢٦٤٢ومسلم / ١٨٧٧]**

يوم القيامة يحيي الله الموتى ويبعث من في القبور

وفي يوم القيامة يُحيي الله الموتى ويبعث من في القبور، وذلك عند النفخة الثانية في الصور، أما النفخة الأولى فيموت فيها أهل الأرض وأهل السماء، قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ **[الزمر/ ٦٨]**

وقال تعالى: ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ **[التغابن/ ٧]**

كروبُ وشدةُ أهوال يوم القيامة

ومما يكون في يوم القيامة وجود عذاب وكروب وأهوال نسأل الله تعالى أن ينجينا منها، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً .

منها قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ .

[عبس/ ٣٤- ٣٧] .

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج/ ١– ٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: « تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً (١٤) قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ » وفي رواية: « الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » [البخاري / ٦١٦٢ ومسلم / ٢٨٥٩] .

الناجون من أهوال يوم القيامة

ويكرم الله تعالى عباده المرضيين بالأمن يوم القيامة ويظلهم في ظل عرشه، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فصلت : ٤٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » [البخاري / ٦٢٩ ومسلم/ ١٠٣١]

---

(١٤) (غُرْلاً) جمع أغرل وهو الذي لم يختن، والمعنى أنهم يحشرون كما خلقوا لم يفقد منهم شيء، وليس معهم شيء .

ومن الناجين من أكرمهم الله تعالى بخشيته في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ [الطور/ ٢٥-٢٨]

وفي الحديث القدسي: « **وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة** » [ابن حبان بسند حسن / ٦٤٠] .

الشفاعة العظمى

ويكرم الله تعالى نبينا محمداً ﷺ وأمته بشفاعته العظمى في إراحة أهل الموقف يوم القيامة، وهي المقام المحمود، وذلك هندما يأتي الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذرون ثم يأتون محمداً ﷺ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فيسجد تَحْتَ الْعَرْشِ وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْه مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا مَا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَه، قال عليه الصلاة والسلام: « **ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ .**

ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى » .

[البخاري / ٤٤٣٥ ومسلم/ ١٩٤]

للنبي ﷺ شفاعات أخرى

منها إدخال أناس إلى الجنة وإخراج أناس من النار، وقد ذكر ذلك ضمن أحاديث الشفاعة العظمى، قال النبي ﷺ: « **ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ** » [البخاري / ٦١٩٧ ومسلم/ ١٩٣] .

شفاعاتٌ في الآخرة لغير نبينا ﷺ

وتكون في الآخرة شفاعات غير الشفاعة العظمى، منها الشفاعة في إخراج عصاة الموحِّدين من النَار وهذه الشفاعة تُشاركه فيها الملائكة، والنبيُّون، والشهداء، والصدِّيقون، والصالحون، والمؤمنون الناجون، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة .

منها ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال .... **حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ** » [البخاري/ ٧٠٠١ ومسلم/ ١٨٣] .

وفي رواية البخاري: « **فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ** » .

الحساب والميزان وأخذ العباد كتبهم

ويكون يوم القيامة الحساب، والوزن، وأخذ العباد كتبهم التي كتب

فيها حسناتهم وسيئاتهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً** ﴾ [الانشقاق/ ٦-١٢] وقال سبحانه : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾[الأنبياء / ٤٧].

شهادات في يوم القيامة

وتكون في ذلك اليوم بحكمة الله شهادات، فالأرض تشهد، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** ﴾ [الزلزلة/ ٤-٥] .

وجوارح الإنسان تشهد، وقال سبحانه: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور / ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ .

[فصلت/ ١٩- ٢١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ** »؟ قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: « **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ**

فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)) . [مسلم/ ٢٩٦٩]

حوض نبينا محمد ﷺ

ويكرم الله تعالى نبينا محمد ﷺ وأمته بالحوض، وعنده يكون اللقاء الطيب بينه ﷺ وبين أحبابه الذين عاشوا بعد عصره .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**)) .

[البخاري / ٦٢٠٨ومسلم / ٢٢٩٢]

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: ((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا،** قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ **قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ،** فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فَقَالَ: **أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ** قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**)) . [مسلم/ ٢٤٩]

المرور على الصراط، وأولُ الأمم مروراً

ويمر الناس على الصراط فوق جهنم إلى الجنة، وأول الأمم مروراً أمة سيدنا محمد ﷺ ، وفي هذا أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ: ((...... **وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**

وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا بَلَى يَا

رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو ›› . [البخاري / ٧٧٣ ومسلم / ٨٢]

وفي رواية: ‹‹ **فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا** ›› . [البخاري / ٧٠٠١ومسلم / ١٨٣]

من يدخلون الجنة بغير حساب

ومما يكون في يوم القيامة أنه يدخل الجنة أناس بغير حساب .

عن أبي حازم عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ‹‹ **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ – لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيَّهُمَا قَالَ – مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ** ›› [مسلم/ ٢١٩] .

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ‹‹ **وَعَدَنِي ربِّي عزَّ وجلَّ أن يُدْخِل الجنَّةَ من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاثَ حَثَيَاتٍ من حَثَيَاتِ رَبِّي عزَّ وجلَّ** ›› .

[الإمام أحمد بن حنبل بسند حسن ٥ / ٢٦٨] .

نار جهنم ليست كنار الدنيا وعذاب أهلها متفاوت

قال رسول الله ﷺ: ‹‹ **نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ** ›› [البخاري/ ٣٠٩٢ومسلم/ ٢٨٤٣] وعذاب أهلها متفاوت، والمنافقون في الدرك الأسفل ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً** ﴾ [النساء/ ١٤٥]

وغير المنافقين على حسب أحوالهم وأعمالهم

عن سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال: ‹‹ **مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ**

إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ » .

[الإمام أحمد / ٢٠١١٥ ومسلم/ ٣٨٤٥]

عذاب الكافرين في النار دائم

والكافرون في النار مخلدون عذابهم دائم ومنها لا يخرجون، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ [النساء/ ٥٦] .

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

[المائدة/ ٣٦– ٣٧]

أهل النار يُعادِي بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض

وتتحول مودة أهل الطغيان والمعاصي إلى عداوة، قال الله تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف/ ٦٧] .

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [البقرة/ ١٦٥ – ١٦٧] .

وقال سبحانه: ﴿ **وَبَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ**

لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم/ ٢١] .

عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار

ومما جاء به ﷺ أنَّ من عذب في الآخرة من عصاة المؤمنين لا يخلد في النار .

وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: « ..... **حَتّى إِذَا فَرَغَ الله مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً، مِمّنْ أَرَادَ الله تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السّجُودِ. تَأْكُلُ النّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاّ أَثَرَ السّجُودِ، حَرّمَ الله عَلَى النّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا. فَيُصَبّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبّةُ فِي حَمِيلِ السّيْلِ** » .

[البخاري /٧٧٣ومسلم / ١٨٢]

أهل الجنة فيها خالدون، ومنها لا يخرجون

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾ .

[الكهف/ ١٠٧-١٠٨]

وقال عز وجلّ: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً** ﴾ [النساء/ ١٢٢]

أعظم نعم الجنة رؤية الله تعالى ورضاه

وأعظم ما يكرم الله تعالى به المؤمنين في الجنة رؤيتهم له سبحانه

ورضاه عنهم، قال سبحانه: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ **[القيامة / ٢٣]**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** » **[البخاري/ ٦١٨٣ ومسلم / ٢٨٢٩]**

وعن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل** ».

[الإمام أحمد/ ١٨٩٦١ومسلم/ ١٨١]

هل يرى اللهَ تعالى أحدٌ في الدنيا؟

نبي الله تعالى موسى ﷺ طلب من الله تعالى أن يراه، فلم يُعْطَ طلبه، قال عزّ وجلّ ﴿ **وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **[الأعراف/ ١٤٣]**

أما نبينا محمد ﷺ فقد اختُلف في رؤيته لربه سبحانه، وليس في ذلك شيء قطعي، ونقل النووي في شرح مسلم ٣/ ٤ قول القاضي عياض: (**ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح**) اهـ وكذلك

رجَّحَ القرطبي في المفهم قولَ الوقفِ في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، اهـ .

[انظر فتح الباري ٨ / ٦٠٨ تفسير سورة النجم]

ويسعنا في مثل هذه القضية أن نتوقف؛ لأننا لا نُسأل عنها يوم القيامة [١٥] .

من ادعى رؤية الله في الدنيا فهو ضال وكاذب

من ادعى بعد زمن النبي رؤية الله في الدنيا فهو ضال وكاذب، والقاعدة أن رؤية المؤمنين لربهم سبحانه لا تكون إلا في الآخرة بعد الموت؛ لأن رسول الله ﷺ قال: « **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ** » .(**تَعَلَّمُوا**) بمعنى: (اعْلموا) .

[الإمام أحمد/ ٢٣٧٢٢ ومسلم في صحيحه/٢٩٣١ والترمذي/ ٢٢٣٥]

الركن السادس الإيمان بالقدر

معنى القدر أن الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في القدم، وعَلِمَ سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى كما ذكر النووي في شرح مسلم .

قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ .

[الحديد/ ٢٢ – ٢٣] .

---

(١٥) من التوفيق السكوت عن كثير مسائل الجدل والخصومات الدينية المعاصرة مما لا نُسأل عنه يوم القيامة، أو مما جعل الله فيه سعة مما اختلف فيه أهل العلم .

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، قال ﷺ عندما سئل عن الإيمان: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » . [مسلم / ٨] .

وقال النبي ﷺ: « **إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى الْقَلَمَ فقال لَه: اُكْتُبْ، فقَالَ: رَبّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلّ شَيْء حَتّى تَقُومَ السّاعَةُ** » . [أبو داود / ٤٦٨٨]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » [الترمذي وصححه / ٢٥١٦] .

أنواع المقدرات بالنسبة لاختيار العبد

كل ما يجري في هذا الكون بقدر الله تعالى، لكنَّ **الأمور المرتبطة بالإنسان نوعان:**

الأول: لا خيار له فيه: وذلك كطول قامته وقصرها، ولون بشرته وشعره وعينيه، ونحو ذلك .

الثاني: أمور له فيها اختيار: كالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وما يختاره في أكله وشربه ونكاحه ونحو ذلك .

والإنسان في النوع الأول مُسَيَّرٌ مُجْبَرٌ لا يدخل في التكليف؛ لأنه لا قدرة له على شيء فيه، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها .

وفي النوع الثاني مخيرٌ غيرُ مجبرٍ؛ لأن الله تعالى أعطاه الاختيار، ولذلك حَمَّلَهُ اللهُ المسؤوليةَ عن كل عمل يدخل في هذا النوع .

وهكذا فهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم فعندما قرر عمر رضي الله عنه عدم الدخول إلى بلد الطاعون، وقد قال له أبو عبيدة رضي الله عنه: **أفراراً من قدر الله؟** فقال عمر رضي الله عنه: **لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة؟! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عُدوتان، إحداهما خصيبةٌ، والأخرى جَدْبَةٌ، أليس إن رعيت الخِصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجَدْبة رعيتها بقدر الله؟** .

فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيِّباً فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ سلم يقول: « **إذا سمعتم به بأرض فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه** » قال: فحمد اللهَ عمرُ ثم انصرف **[** البخاري / **٥٣٩٧** ومسلم / **٢٢١٩]** .

وفي هذا الحديث ما عرفه أهل عصرنا من الحجر الصحي الدقيق، علمنا إياه النبي ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

الإيمان بالسمعيات التي ثبتت بالوحي (١٦)

بعد الإيمان بما تقدم من جوانب الإيمان لا بد من الإيمان بكل ما جاء به رسول الله ﷺ سواء كان من أمور الغيب، أو من التشريع، أو غير ذلك؛ فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى .

فمما جاء به ﷺ :

لا يموت إنسان إلا بأجله

(١٦) المراد بالسمعيات معلومات غيبية تعرف بطريق الوحي من القرآن أو السنة .

قال عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف/ ٣٤] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران / ١٥٤] .

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون/ ١١-١٢]

ومما جاء به ﷺ مضاعفة الحسنات

ومما جاء به ﷺ أن الله تعالى يضاعف الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها إلا أن الحسنات قد يضاعفها الله أكثر من ذلك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

قال سبحانه: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

وقال عز وجلَّ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٦١] .

الذنوب صغائر وكبائر

ومما جاء به ﷺ أنَّ الذنوب نوعان: كبائر وصغائر .

والتوبة يغفر الله بها الكبائر والصغائر، والصغيرة يغفرها الله تعالى أيضاً بترك الكبائر وبالأعمال الصالحة (١٧) .

قال الله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ [النساء/ ٣١] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ ((**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**)) . [الإمام أحمد٢/ ٤٠٠ ومسلم / ٢٣٣] (١٨) .

الله تعالى لا يغفر أن يُشرَك به إلا بالتوبة

ومما جاء به ﷺ أنَّ المشركين لا يغفر الله لهم وهم معذبون في النار لا يخرجون منها، والجنة محرمة عليهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [النساء / ٤٨] .

---

(١٧) تضرر بعض الناس بمعرفة ذلك فتساهلوا بارتكاب كثير من الذنوب، أو بالإصرار عليها، وقَلَّتْ في قلوبهم الخشية من الله تعالى، فكان في هذا هلاكهم .

(١٨) ينبغي أن يتذكر العبد أن الاستهانة بالمعصية الصغيرة والإصرار عليها يجعلها كبيرة وأن الكبائر ليست محصورة في السبع الموبقات بل هي كثيرة، وأن يتذكر أنّ من الكبائرِ كبائرَ باطنة قد تخفى على كثير من الناس، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأنعام / ١٥١] فقد يتصف الإنسان بالكبر الذي فسره ﷺ بأمرين الأول بطر الحق (**رفض الحق**) والثاني غَمْطُ الناس (**احتقارهم**) وقال عن هذه الفاحشة الباطنة التي قد يتصف بها الإنسان وهو لا يشعر: ((**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) [مسلم / ٩١] .

وقال عزَّ وجلَّ ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة/ ٧٢] وقال سبحانه: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [النساء / ٤٨] ولكنه يُغْفَرُ لهم إذا تركوا كفرهم وآمنوا بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿ **قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ** ﴾. [الأنفال/ ٣٨] .

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: ((**فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ** ﷺ **فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِى، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**)) [مسلم / ١٢١] .

ذنوب عصاة المؤمنين راجعٌ أمرها لمشيئة الله تعالى

من عصى الله تعالى من المؤمنين ولم يتب يستحق عذاب الله تعالى، ومن الممكن أن يغفر الله تعالى له قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [النساء / ٤٨] .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ((**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ**

ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِك)) [البخاري ١٨ مسلم ١٧٠٩]

المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر

ومما جاء به ﷺ أنَّ المسلم لا يكفر بارتكاب المعاصي وإن كانت من الكبائر وهو داخل تحت مشيئة الله في المغفرة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [النساء/ ٤٨] .

قال أهل العلم: وما ورد من الوعيد على ارتكاب المعاصي من الأدلة التي قد يُفْهَمُ منها الكفرُ أو الخلودُ في النار فمعناه كفر النعمة، أو المشابهة لأعمال الكفار، وذلك كقول النبي ﷺ : ((**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)) [البخاري / ٤٨ ومسلم / ٦٤] ، وقد دل القرآن الكريم على أن معصية العبد بقتاله لأخيه لا تخرجه عن دائرة الإيمان، قال الله تعالى: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**) [الحجرات/٩] [(١٩)]

من مقتضيات الإيمان احترام أهل البيت والصحابة ومحبتهم

وأختم هذه الأمور الإيمانية التي جاء بها الوحي بذكر شيء من فضل **أصحابه وأهل بيته** ﷺ ليكون ذلك معيناً لنا على ما يجب علينا من احترامهم ومحبتهم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [الشورى/ ٢٣] وقال سبحانه: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ**

---

(١٩) إذا أردت مزيداً من البحث في هذه القضية وجدته في الملحق رقم (٦) في آخر كتاب المنهج المفيد في بناء الإيمان والعقيدة .

النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً *وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ **[الأحزاب/ ٣٢-٣٣]** .

وفضل أهل البيت يعم جميع المؤمنين من أقرباء النبي ﷺ، لكن للسيدة فاطمة ولزوجها علي وابنيها الحسن والحسين رضي الله عنهم مزيةٌ على بقية أهل البيت رضي الله عنهم ومما يدل على ذلك حديث عائشةَ رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيّدَةَ نِسَاء الْمُؤْمِنِيينَ أَوْ سَيّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمّةِ؟**)) **[البخاري / ٣٤٢٦ مسلم / ٢٤٥٠]** .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وهو يشير إلى الحسن رضي الله عنه: ((**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِن الْمُسْلِمِينَ**)) **[البخاري / ٢٧٥٧]**.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)) .

[الإمام أحمد/ ١١٠١٢ والترمذي وصححه / ٣٧٦٨ وابن حبان / ٦٩٥٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ .... فجلس بفناء بيت فاطمة فجاء الحسن رضي الله عنه يشتد حتى عانقه وقبله وقال:

((**اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**)) **[البخاري / ٢٠١٦ ومسلم /٢٤٢١]** .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ليلة فتح خيبر: ((**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ – أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ – غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ**)) **[البخاري / ٣٤٩٩ ومسلم /٢٤٠٧ واللفظ لمسلم]** .

أما أصحابه ﷺ فهم خير هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ ((**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)) .
[البخاري / ٦٣١٧ مسلم / ٢٥٣٣]

ولا يبلغ أحد من هذه الأمة درجتهم، قال ﷺ : ((**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**)) .
[البخاري/ ٣٤٧٠ مسلم / ٢٥٤٠]

وأفضلهم السابقون الأولون، قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **[التوبة/١٠٠]** .

وخير السابقين الخلفاءُ الراشدون، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وهم القدوة الثانية للأمة بعد نبيها ﷺ ، وما كانوا عليه هو الضياء عند ظلمات الفتنِ والاختلافِ قال ﷺ : ((**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ تَمَسّكُوا بِهَا، وَعَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ**)) **[الترمذي وصححه / ٢٨١٦وأبو دواد/ ٤٦٠٧]** .

ومن السابقين الأولين أهل بيعة الرضوان، قال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ **[الفتح/ ١٨]**.

الفصل الثالث ميزان الإيمان

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**)) **[الإمام أحمد / ٨٧٧٧ ومسلم / ٢٦٦٤]**.

وإذا كان تحصيل القوة مطلوباً من المسلم في كل جانب في حياته فإنها مطلوبة أكثر في جانب الإيمان، ويكون ذلك بالحرص والسعي مع الاستعانة بالله تعالى، ويساعده على ذلك وجود موازين يزن بها إيمانه كما يحتاج من كان عنده ضعف في جسده بسبب زيادة السكر، أو الشحوم، أو ارتفاع ضغط الدم إلى موازين السكر والضغط وغيرها .

وهذا الميزان له جانبان:

الجانب الأول: الأحوال والصفات والأعمال التي أرشدنا الله إليها ومدح أهلها، وهي شعب الإيمان التي ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: « **الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَان** » .

[البخاري / ٩ ومسلم/ ٣٥]

والجانب الثاني: هو الأحوال والصفات والأعمال التي حرمها الله علينا، وذمها، أو ذم أهلها، وهي المحرمات والفواحش .

والجانب الأول فيه خصالٌ ظاهرةٌ مثلُ بِرِّ الوالدين وصلة الرحم، والبكاء من خشية الله، وخصالٌ خفيةٌ، كالحياء من الله تعالى، ومراقبته، والخوف من سوء الحساب .

كذلك الجانب الثاني فيه خصالٌ ظاهرةٌ كالزنا وأكل أموال الناس بالباطل، وخصالٌ خفيةٌ كالكبر والشحناء والرياء، والأمن منْ عذاب الله تعالى.

ومما يفيدنا في هذا تدبر آيات القرآن الكريم في أمره ونهيه، ومدحه وذمه، وفي قصصه وأخباره، وفي ذكره لعوالم الآخرة وأحوالها،

وكذلك في سنة النبي ﷺ وأخباره مع السابقين الأولين ﷺ **ومما** ينفعنا في هذا أن ننظر فيما ما كتبه أهل العلم في بيان شعب الإيمان ككتاب **شُعب الإيمان** للبيهقي، و**صفة الصفوة** لابن الجوزي[(٢٠)] مع النظر إلى أحوال الصحابة ﷺ في هذه الشعب .

خاتمة: ما ذُكر في هذا الفصل تذكرة ينتفع بها من أراد الله تعالى لهم الخير، وليست قضية دراسة معلومات يستضيء بها العقل فحسب، بل هي تذكرة للقلوب ينتفع بها من يحرص على النجاة، ويستعين بالله تعالى، هذا وأسأل الله تعالى أن ينفعني ومن يدرس هذا الكتاب، ويعيذنا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأن يتوفانا مسلمين ويُلحقنا بالصالحين .

---

(٢٠) التذكير بالانتفاع من مثل هذه الكتب لا يلزم منه أن كلّ ما فيها صحيح يُعتَمَدُ عليه؛ فينبغي أن توزن أخبارها بميزان علماء الحديث .